

أفعال الإيقاع (الإعلانات) في الحديث القدسي  
(دراسة تداولية)

إعداد

محمد جلال إبراهيم رمضان

باحث دكتوراه بقسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب، جامعة بورسعيد

DOI: 10.21608/jfpsu.2021.48833.1022

## أفعال الإيقاع (الإعلانات) في الحديث القدسي (دراسة تداولية)

### مستخلص البحث:

يرمي هذا البحث إلى تسليط الضوء على فعل الإيقاع في الحديث القدسي، وهو من الأفعال الكلامية حسب تصنيف (سيرل)، وهي نوع من الأفعال الكلامية التي ينشأ بمجرد التصريح بها أحداث تغيير في الوضع القائم، أي أن القول بأمر ما هو إحداث لذلك الأمر، أو هي التي يكون إيقاع الفعل فيها مقارنًا لفظه في الوجود، فأنت توقع بالقول فعلاً، وتتسع هذه الأفعال لتشمل أفعال البيع والشراء والهبة والوصية والوقف والإجارة والإبراء من الدين والتنازل عن الحق والزواج والطلاق والإقرار والدعوى والإنكار والغذف الوكالة... إلخ. ولابد أن يكون الكلام واضح الدلالة على المراد بحيث يفهم من إيقاع الفعل فهما لا لبس فيه، فمثلاً صيغة الفعل الكلامي البيعي هي "بعتك" ولا تصح بالمضارع، ولا بصيغة "فاعل"، ولو نطق البائع بإحدى هاتين الصيغتين لكان وعدًا بالبيع لا بيعًا، أو لكان مخبرًا عن بيع تم في الماضي، كما يركز البحث على وسائل تدعيم القوة الإنجازية التي تختلف باختلاف المنطوق، وقد بدت الأفعال الكلامية من هذا الصنف في الحديث القدسي مثل الإذن والمنع والإيقاعات الصريحة، كما أوضح البحث مدى إمكانية أن يندرج تحت الفعل الكلامي الكلي مجموعة من الأفعال الكلامية المفردة، بما يسمى عند (فان دايك) بـ (التداولية الصغرى).

الكلمات المفتاحية: الفعل الكلامي، الإعلانات، سيرل، الغرض الإنجازي، التداولية.

### Abstract:

This research aims to shed light on the act of rhythm in the holy hadith, which is a verbal act according to the classification of (Searle), a kind of verbal acts that arise as soon as they are declared events change in the status quo, i.e. to say something is the effect of that, and the research focuses on ways to strengthen the achievement force. The research also showed the extent to which a set of single-

verbal verbs could be included under the whole verb, with the so-called "micro-deliberative"). by Van Dyke, could be included in the overall verbal act.

**Keywords:** The speeches Act, Declarations, Searle, mocutionary purpose, pragmatics.

## أفعال الإيقاع (الإعلانات) في الحديث القدسي (دراسة تداولية)

أتناول في هذا البحث القسم الخامس من الأفعال الكلامية، حسب تصنيف (جون سيرل) وهو الإيقاعات، وتسمى أيضاً الإعلانات، وهي نوع من الأفعال الكلامية التي ينشأ بمجرد التصريح بها أحداث تغيير في الوضع القائم، أي أن القول بأمر ما هو إحداث لذلك الأمر، أو هي التي يكون إيقاع الفعل فيها مقارناً للفظه في الوجود، فأنت توقع بالقول فعلاً، وتتسع هذه الأفعال لتشمل أفعال البيع والشراء والهبة والوصية والوقف والإجارة والإبراء من الدين والتنازل عن الحق والزواج والطلاق والإقرار والدعوى والإنكار والقذف الوكالة... إلخ<sup>(١)</sup>.

وينبغي أن يكون إعلاناً (إيقاعاً) ناجحاً ليحقق الغرض المنشود إليه لكي يطابق العالم الخارجي، وهذه المطابقة تكون من الكلمات إلى العالم أو من العالم إلى الكلمات (اتجاه مزدوج)، كما يشترط لنجاح هذه الأفعال (في الخطابات البشرية) وجود عرف غير لغوي، فهذه الأفعال تحتاج إلى مؤسسة خارج اللغة<sup>(٢)</sup>، والمسئول عن تحقيق المطابقة في الإعلانات قد يكون المتلقي أو المتكلم وقد يكون غيرهما، ولا تحتاج الأفعال هنا من شرط سوى الاعتقاد بأن الفعل وقع ناجحاً، فإذا أدت فعل إعلان الحرب أداء ناجحاً فالحرب

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: محمود نحلة، الإسكندرية، دار المعرفة، ٢٠٠٢م، (ص ٩٨).  
(٢) التداولية: جورج يول، ترجمة د. قصي العتيبي، دار العربية للعلوم ناشرون، الرباط، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، (ص ٨٩).

معلنة (١).

ولابد أن يكون الكلام واضح الدلالة على المراد بحيث يفهم من إيقاع الفعل فهما لا لبس فيه، فمثلاً صيغة الفعل الكلامي البيعي هي "بعتك" ولا تصح بالمضارع، ولا بصيغة "فاعل"، ولو نطق البائع بإحدى هاتين الصيغتين لكان وعدا بالبيع لا بيعا، أو لكان مخبرا عن بيع تم في الماضي (٢).

وقد يكون الفعل صريحاً وقد يكون ضمنياً، فقد ورد إيقاع الوعد مثلاً صريحاً في قوله تعالى: (وَاللَّهُ يَعِدُّكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً). [سورة البقرة، ٢٦٨]، ووقع ضمناً في قوله تعالى مخاطباً أم موسى: (إِنَّا رَأَوُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ). [سورة القصص: ٧]، فقد تضمن القول الكريم وعدين: الرد والرسالة، ثم ذكر القرآن الكريم من بعد أن الرد كان وعدا من الله وسكت عن الرسالة؛ لأنه لم يكن قد حان وقتها بعد، فقال تعالى: (فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِنَعْلَمَ أَنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا) [سورة القصص: ١٣] (٣).

#### ١- فعل الإذن والإجازة

عن الرُّبَيْعِ بنتِ مُعَوِّذٍ أَنَّ النَّبِيَّ ' قَالَ: "إِذَا صَلَّوْا عَلَيَّ جَنَازَةً فَاتَّقُوا خَيْرًا، يَقُولُ الرَّبُّ:

((أَجَزْتُ شَهَادَتَهُمْ فِيمَا يَعْلَمُونَ، وَأَغْفِرُ لَهُ مَا لَا يَعْلَمُونَ)) (٤).

تضمن الحديث فعلاً كلامياً من أفعال الإيقاعات، وهو فعل الإجازة لشهادة من صلى الجنازة على المتوفى، فأتوا عليه خيراً، فهو يتضمن محتوى قضوياً صادقاً، ليستبشر أصحاب الأخلاق الحميدة بإجازة الله لشهادة الناس فيهم، وقد أحدث هذا الإعلان تغييراً في العالم بمجرد إعلانه، وقد أكد المتكلم إرادته في وقوع هذا الفعل وتحققه والعمل

(١) ينظر الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة: د. علي الصراف، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م. (ص٦٣)، (ص٢١٠).

(٢) ينظر التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي): د. مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م، (ص١٤١).

(٣) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: (ص٩٨).

(٤) التاريخ الكبير للبخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، (٣/١٦٨)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: (٣/٣٥١).

به، ذلك بأنه تقبل منهم شهادتهم فيما يعلمون من ظاهر هذا الرجل<sup>(١)</sup>، ثم أعلن أنه قد غفر ما لم يعلمه الناس من ذنب عبده الذي ستره عليه<sup>(٢)</sup>، وهذا هو الفعل الإيقاعي الثاني في الحديث، قال تعالى: (وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا) [سورة الإسراء: ١٧]، وبذلك يكون هذا الفعل الإيقاعي أبطل ما قد توهمه بعض الناس من عدم الاكتراث بمعاملة الناس بالحسنى طالما أنه يصلي ويزكي، ومصدق ذلك قوله تعالى: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ). [سورة البقرة: ٨٣]، فقد قدم الله ، معاملة الناس بالقول الحسن على الصلاة والزكاة ليدل على أهميتها.

وقد تضمن الحديث أفعالاً كلامية غير مباشرة مستلزمة مقامياً مثل التوجيه بإخلاص الدعاء للميت وذكره بأحسن ما كان يفعل، وتقرير أن لمؤمنين شهداء الله في الأرض كما أنّ الملائكة شهداء الله في السماء<sup>(٣)</sup>، والحث على رجاء القبول لأن الله تعالى لا يخيب من قصده<sup>(٤)</sup>، والأمر بمعاملة الناس بالحسنى مخلصاً إذ يرتجى منهم الشهادة في الظاهر والله يعلم ما لا يعلمون، والتنبيه على أن كرم الله لا بد وأن يتجاوز عباده، فلو أثوا عليه خيراً في ظاهر ما يعلمونه، فإن الله كريم فيغفر ما لا يعلمونه. كما لا يخفى دور الرابط الحجاجي (واو) العطف في جمع النتائج، وهي إجازته لشهادة الناس في المتوفى، وزاد عليها - مستخدماً حرف العطف - مغفرته له ما لا يعلمونه، فلم يقتصر دور الواو على الجمع بين النتائج بل تقوية النتائج بعضها ببعض، لتحقيق الكمال المطلوب لدى كل عبد يرجو رحمة الله وعفوه، كما يفرح بمحبة الصالحين وشهادتهم له.

(١) قال محمد بن إسماعيل الأمير: "والمراد إذا قالوا ذلك من أنفسهم لما يعلمونه من صلاح الميت لا إذا قالوه فيمن جهل حاله". التنوير شرح الجامع الصغير: محمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعاني، أبو إبراهيم، تحقيق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م. (١١٦/٢).

(٢) السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير: الشيخ علي بن الشيخ أحمد العزيمي، المطبعة الخيرية، جمالية مصر، ط١، ١٣٠٤هـ، (ص ١٤٤).

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، ط٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، (١١١/١).

(٤) ينظر فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط١، ١٣٥٦هـ، (٣٩٢/١).

## ٢- فعل المنع:

عن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: (( إِذَا وُجِّهَتْ اللَّعْنَةُ، تَوَجَّهَتْ إِلَى مَنْ وُجِّهَتْ إِلَيْهِ، فَإِنْ وَجِدَتْ فِيهِ مَسْلَكًا، وَوَجِدَتْ عَلَيْهِ سَبِيلًا، أَحَلَّتْ بِهِ، وَإِلَّا حَارَتْ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: يَا رَبِّ، إِنَّ فُلَانًا وَجَّهَنِي إِلَى فُلَانٍ، وَإِنِّي لَمْ أَجِدْ عَلَيْهِ سَبِيلًا، وَلَمْ أَجِدْ فِيهِ مَسْلَكًا، فَمَا تَأْمُرُنِي؟ فَقَالَ: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ ))<sup>(١)</sup>. (اللفظ لأحمد)

الحديث يتضمن فعلاً كلامياً إيقاعياً، وهو قطع السبل أمام اللعنة<sup>(٢)</sup> تلقاء من وجهت إليه إذ قالت: "وَلَمْ أَجِدْ فِيهِ مَسْلَكًا"، أي طريقاً تنتهي منه إلى مكان تستقر فيه، ليمنع إيقاع اللعن على من لا يستحقه، فكان الإنجاز هنا في التوقف عن التصرف، وقد اكتمل فعل المنع بفعل الأمر في قوله: "ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ"، بعدما تحيرت اللعنة، فأغلق عليها باب الدخول إلى من وجهت إليه اللعنة تماماً، ومن ثم وجهها إلى الذي أصدرها.

وقد كان المعتاد أن اللعنة تتوجه إلى من وجهت إليه، فإن كان لذلك أهلاً، أي يستحقها وقعت عليه، فكان مطروداً مبعوداً، وإن لم يكن لها أهلاً رجعت إلى قائلها بإذن ربها؛ ولعل العلة في ذلك أن اللعن حكمٌ بإبعاد الملعون عن رحمة الله، وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله<sup>(٣)</sup>، وليس لأحد أن يتجاوز ويطنغي على حق من حقوق الله.

كما اشتمل الحديث على بعض الأفعال الكلامية غير المباشرة كالتهديد والوعيد

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، (٤٢١/٦)، (١٣٣/٧)، والصمت وآداب اللسان: ابن أبي الدنيا، تحقيق أبو إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي - بيروت، (ص٢٠٣)، وشرح مشكل الآثار: أبو جعفر الطحاوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١ - ١٤١٥ هـ، ١٩٩٤ م، (٣٢٥/٩)، والدعاء للطبراني: سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٣ هـ، (ص٥٧٦)، وصحيح الترغيب والترهيب: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض، (٦١/٣).

(٢) وأصل اللعن الطرد، يقال لعنه أهله: أي طرده وأبعده، وهو لعين طريد. وقد لعن الله إبليس: طرده من الجنة وأبعده من جوار الملائكة، وإذا أطلق اللعن فهم منه الطرد من رحمة الله. أساس البلاغة: الزمخشري، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، (١٧١/٢)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، (٢٠١٧/٣).

(٣) ينظر السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير: الشيخ علي بن الشيخ أحمد العريزي، المطبعة الخيرية، جمالية مصر، ط١، ١٣٠٤ هـ، (٤٩/٢).

للاعن، وفعل التوجيه للعنة إلى التي صدرت منه؛ إذ إنه ظالم في لعنه باغٍ، كما يفهم أن نظير العنة من قال لأخيه: يا كافر، أو يا فاسق فإنها ترد إليه<sup>(١)</sup>، وفي هذا أيضا فعل كلامي غير مباشر وهو الترهيب<sup>(٢)</sup>، وكذلك فعل التحذير لمن لعن من لا يستوجب اللعنة<sup>(٣)</sup>.

وقد تعدلت القوة الإنجازية بتعديل المنطوق في قوله: "ازجعي من حيث جئت"، فلم يقل ارجعي إلى من وجهك، ذلك كي لا يذكره فقد طرده الله من رحمته، وأصبح خارج عناية الله، فليس له عند الله الآن من العناية والتشريف ما يحظى به عباده الصالحون، وفي قوله: "حيث" مزيد من الإبهام وعدم الاكتراث به، وفي هذا التعديل للمنطوق قوة إنجازية لفعل الإيقاع؛ لإفادته التعميم، أي مهما كان شأن مصدر هذه اللعنة، وقوة إنجازية كذلك لفعل الترهيب والتخويف المستلزم مقامياً.

ومن أبرز آليات الحجاج في الحديث التجسيد الذي حصل لللعنة، فأصل اللعنة الطرد من رحمة الله، وهذا مصدر معنوي، فلما تجسدت تجسدا حقيقيا - وهو أكثرنا عجا من التجسيد الخيالي المجازي عند البلاغيين، والله على كل شيء قدير - ودار منها هذا الحوار مع ربها تبارك وتعالى، وبالأخص قولها: (فَمَا تَأْمُرُنِي؟) حصل عند المتلقي تعظيم لقدرة الله، وقدرته على خلقه، إذ اللعنة من الأشياء التي لا يحق لأحد التصرف فيها إلا بما شاء الله ربها، فلما أراد أن يوجهها أحد الطاعين عبثا إلى من لا يستحقها استخفافا بها<sup>(٤)</sup>، فإذا بها تتجسد وتتحير وتعقل وتفهم ما إذا كان هذا الذي توجهت إليه يستحق أم لا، وتحاول فلا تجد طريقا يوصل إليه، وتتردد في أمرها، وتناور ربها، حتى تتلقى الأمر

(١) وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَزِمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالْفُسُوقِ، وَلَا يَزِمِيهِ بِالْكَفْرِ، إِلَّا أُرْتَدَّتْ عَلَيْهِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ». صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد زهير الناصر، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢ هـ. (١٥/٨).

(٢) ينظر شرح سنن أبي داود لابن رسلان: شهاب علي بن رسلان المقدسي، تحقيق خالد الرباط، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم - جمهورية مصر العربية، ط ١، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م، (٦٥٨/١٨).

(٣) فيض القدير: (٣٧٠/٢).

(٤) شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة: د. محمد علي الهاشمي، دار البشائر الإسلامية، ط ١٠، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م (ص ٢٠٠).

منه على الوجه الذي يريده، وكل هذا ليبين للمتلقي أن الأمر ليس عبثاً، وأن اللعنة ليست بهذه المطاوعة التي يتوهما اللاعن، بل لها رب لا تخالفه؛ لأنها تخافه، فلولا كان المتلقي مثلها في الامتثال لأمر الله والخوف منه سبحانه وتعالى.

ولا شك أن هذا التجسيد قد أقنع المتلقي بأن قدم حجة مفادها تعظيم أمر اللعنة وعدم الاستهانة بها، وأنها ليست لعبة يلوكها الإنسان بلسانه متى شاء، ثم يمجهها كيف شاء، بل هي من أكبر الآفات التي يجبلها الإنسان على نفسه بلسانه، والنتيجة كانت في العقوبة الشديدة باللعنة لمن يتهاون في إصدارها.

### ٣- فعل الإيقاع الصريح:

#### الحديث الأول:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: (( إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُدَّتِ الْأَرْضُ مَدَّ الْأَيْمِ وَحَشَرَ اللَّهُ الْخَلَائِقَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ وَالذَّوَابَّ وَالْوُحُوشَ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ جَعَلَ اللَّهُ الْقِصَاصَ بَيْنَ الذَّوَابِّ حَتَّى تَقْصَّ الشَّاةُ الْجَمَاءَ مِنَ الْقَرْنَاءِ بِنَطْحَتِهَا فَإِذَا فَرَعَ اللَّهُ مِنَ الْقِصَاصِ بَيْنَ الذَّوَابِّ قَالَ لَهَا: كُونِي تُرَابًا، فَتَكُونُ تُرَابًا فَيَرَاهَا الْكَافِرُ فَيَقُولُ: (يا ليتني كنتُ ترابًا) [سورة النبأ: ٤٠])<sup>(١)</sup>.

في قول الله عزوجل: (كوني ترابًا) فعل كلامي إيقاعي يتحقق بمجرد التلفظ بالمنطوق الإنجازي، أي يحصل الشيء ويتحقق وجوده بصدور الأمر الإلهي إلى المأمور، فيتمثل له، أو يتحقق في الوجود، وجاء الحديث ليعظم قضية الحساب والقصاص، وأنه لا بد لكل أحد منه، وأنه لا محيص له عنه<sup>(٢)</sup>، وغرض الفعل الكلامي

(١) جامع البيان عن تأويل أي القرآن: محمد بن جرير الطبري، تحقيق د. عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، (٥٤/٢٤)، والمستدرک علی الصحیحین: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١١ - ١٩٩٠ م. (٦١٩/٤)، والأهوال: ابن أبي الدنيا، تحقيق: مجدي فتحي السيد، مكتبة آل ياسر - مصر، ١٤١٣ هـ: (ص ١٤٥)، والإتحافات السننية بالأحاديث القدسية: (ص ١١٨).

(٢) ينظر المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق محيي الدين ديب ميسنو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، (٥٦٤/٦).



إظهار قدرة الله سبحانه وتعالى وعدله الذي لا مثل له، فصفات الله كذاته لا مثل لها، حتى أن القصاص شمل الدواب والحيوانات فيما بينهن من مظالم.

وقد دلت الصيغة الخبرية على أفعال كلامية غير مباشرة مثل **التهديد والوعيد** للظالمين، وكذلك فعل **الندم والحسرة** وهو فعل تعبيرى صادر عن الكافرين (يا ليتني كنت تراباً)، وقد جاء فعل **الحسرة** من الظالمين نتيجة للحجة التي أنتجها فعل **الإيقاع** من الله عز وجل بتصيير الدواب تراباً، حيث أصابهم التيقن من عدم الإفلات، إذ الدواب المسخرات للإنسان لم تقلت من القصاص والعدالة مع عدم تشريفهن وتكريمهن، فكيف بالإنسان المشرف بالاستخلاف والمسئولية المأمور المكلف من الله عز وجل! وكذلك تقرير أخذ الحقوق والمظالم، وقد ذكر القرطبي وغيره في الخبر أن البهائم إذا صارت تراباً يوم القيامة حوّل ذلك التراب في وجوه الكفار، فذلك: (ووجوه يومئذ عليها غبرة) [سورة عبس: ٤٠]، أي غبار<sup>(١)</sup>، وكذلك فعل **التنبيه** على قدرة الله في جمع الخلائق، ومحاسبتهم، وأنه لا ظلم في هذا اليوم.

وعند (سيرل) فقد تحقق في هذا القول الإيقاعي اتجاهاً المطابقة كلاهما معاً، بحيث أصبح المحتوى القضوي مطابقاً للعالم، وهذا الصنف يسميه سيرل **الإيقاعات الخارقة للطبيعة**، ويعزو سيرل إمكانية إحداث الله التغييرات في العالم غير الاعتباري بالإيقاع إلى القدرة الخارقة التي يفتقر إليها البشر، ويرى أنه من الممكن للإيقاعات أن تستغني عن المؤسسات في تحقيق محتواها القضوي مثل جملة "ليكن نور فكان"<sup>(٢)</sup>، أما محدودية التغييرات التي يحدثها البشر بالإيقاع فليس مردها إلى محدودية الإيقاع نفسه، بل مردها

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: شمس الدين القرطبي، تحقيق د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤٢٥هـ، (ص ٦٥٢)، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: محمد الأمين الهري، تحقيق د. هاشم محمد علي، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م. (١٤٠/٣١).

(٢) جزء من الآية "وقال الله ليكن نور فكان نور". ينظر الكتاب المقدس: (سفر التكوين/إصحاح ١: الآية ٣). ولا شك أن كلمة الله تحمل قوة الله الجبارة الخالقة، ولذلك جاء على لسان أشعيا النبي "هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي لا ترجع إليّ فارغة بل تعمل على ما سُررتُ به وتتجح في ما أرسلتها له" (سفر أشعيا/إصحاح ٥٥: الآية ١١).

إلى محدودية القدرة البشرية، فلا نشك أن القدرة الإلهية تستغني عن الجملة المذكورة في إيجاد النور، وأن إرادة القادر المطلقة وحدها كافية لتحقيق التغيير (١).

### الحديث الثاني:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَحَّكَ، فَقَالَ: ((هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَصْحَكُ؟)) قَالَ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجْزِنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْنِكَ شَهِيدًا، وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُّ عَلَى فِيهِ، فَيَقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انطِقي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلِّي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ فَيَقُولُ: بُغْدًا لَكُنَّ وَسُخْمًا، فَعُنْكَ كُنْتُ أَنْاضِلُ)) (٢).

في قول الله عزوجل: (انطِقي) فعل كلامي إيقاعي صريح يتحقق بمجرد التلفظ بالمنطوق الإنجازي، أي يحصل الشيء ويتحقق وجوده بصدور الأمر الإلهي إلى الأمور، فيتمثل له، أو يتحقق في الوجود، وجاء الحديث ليعظم قضية الحساب والعدالة عند الله عز وجل يوم القيامة، وأنه لن يجد أحد سبيلاً للتحايل أو الهروب كما كان صنع كثير من الظالمين في الدنيا، وغرض الفعل الكلامي إظهار قدرة الله وعده على رؤوس الأشهاد وكذب ذلك الجاحد واقترائه (٣).

(١) ينظر نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب: طالب هاشم الطبطبائي، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤م، (ص ١٣٥، ١٣٦).

(٢) صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (٤/٢٢٨٠)، وكتاب التوبة: ابن أبي الدنيا، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، مصر، (ص ٤٤)، والصحيح المسند من الأحاديث القدسية: مصطفى العدوي، دار الصحابة للتراث، ط ١، ١٤١٠-١٩٨٩م. (ص ١٢٥).

(٣) قال ابن هبيرة: "وفي هذا الحديث إظهار الله سبحانه لعباده عدله، ومن عدله أنه لم يجر على تثبيت الحقوق بين يديه أن تكون قضية من قضاياهم يحكم فيها بالشهود العدول، ثم إن جاحد الجحد فلا يظهر الله على رؤوس الأشهاد كذب ذلك الجاحد واقتراه؛ فأنطق الله سبحانه جوارح الإنسان بما جحدته مزكية للشهود". الإفصاح عن معاني الصحاح: يحيى بن هبيرة، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، ١٤١٧هـ، (٥/٣٩٨).

وقد تعدلت القوة الإنجازية بإسناد فعل الإنطاق للمجهول (فَيَقَالُ لِأَزْكَانِيهِ: انْطَقِي)، ومعلوم أن من قام بالفعل هو الله ، قال تعالى: (وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ۗ قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [سورة فصلت: ٢١]، ولكن لما كان فعل الإنطاق من ورائه إلزام الحجة التي يتبعها العذاب والعياذ بالله، لم يسند النبي ، هذا الشر الذي سينال العبد<sup>(١)</sup> لله تأديبا مع الله ،<sup>(٢)</sup> وهذه هي أخلاق الذين أنعم الله عليهم من النبيين والشهداء والصديقين والصالحين، قال تعالى على لسان نبيه إبراهيم : (إِذَا مَرَضْتَ فَهُوَ يَشْفِينُ). [سورة الشعراء: ٨٠]، فقد أسند الشفاء لله، أسند المرض لنفسه، كذلك قال تعالى على لسان يوسف: (وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ). [سورة يوسف: ١٠٠]، مع أن دخوله السجن كان من تقدير الله، لكنه لم ينسب لله إلا الخروج، وكذلك الخضر قال تعالى على لسانه في شأن خرق السفينة: (فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا [سورة الكهف: ٧٩]، بينما في لما أقام الجدار نسب ما يترتب عليه من إحسان إلى الله قال تعالى: (فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ) [الكهف: ٨٢]، رغم أن كل أفعاله كانت من أمر الله له : (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي). [الكهف: ٨٢].

كما أن هناك علة أخرى تكمن وراء إسناد فعل الإنطاق للمجهول، ذلك بأن المقام مقام ذم لهذا المجرم الذي اجتمع له من الجرائم: المعصية والكذب والجهل بربه تبارك وتعالى، فلم يظهر الله ذاته ولم ينسب الفعل لنفسه تنزيها له سبحانه، فإذا كان المقام مقام مدح وثناء، أظهر الله ذاته ونسب الفعل له، ومثال ذلك: "إتيان الكتاب لأهل الكتاب"، فإذا امتدحهم نسب إتيان الكتاب لنفسه، مثل قوله: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ). [البقرة: ١٢١]، وكذلك قوله: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ) [البقرة: ١٤٦]، أما إذا ذمهم فإنه لا ينسب الفعل لنفسه، مثل قوله: (أَلَمْ تَرَ إِلَى

(١) وقد اجتمع لهذا العبد ثلاث جرائم: الأولى: فعل ما لا يجوز له فعله في الدنيا، والثانية: أن يجاهد الله ، ذلك، والثالثة: أن يجهل أن الله قادر على أن يظهر كل خفي، فاجتمع لهذا الشقي معصية وكذب و جهل بربه. الإفصاح عن معاني الصحاح: (٣٩٨/٥).

(٢) كان من دعاء النبي : "أَتَيْتُكَ وَسَعَدَيْتُكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ". صحيح مسلم: (٥٣٤/١).

الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ). [آل عمران ٢٣]، وقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ) [آل عمران: ١٠٠]، وقوله: (وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا) (١). [آل عمران: ١٨٦].

وعلى هذا فقد اشتمل الخطاب على أفعال كلامية غير مباشرة مستلزمة مقامياً، جاءت على حسب وصف (فان دايك) (٢) أفعالاً جزئية خادمة للفعل الكلي ومهيئة له، مثل فعل الهم الذي سبق وفعل التهديد والوعيد، وفعل التحذير، وفعل التعظيم لقدرة الله وعدله، وفعل الحسرة والندم وتمثل في قول العبد: "بُعْدًا لَكُنَّ وَسُخْفًا، فَعَعْنَنَّ كُنْتُ أَنَاضِلُّ"، وقد تعدلت القوة الإنجازية في قوله: "أناضل"، ولم يقل أذاع لأن المدافعة تكون غالباً بتعدي الآخر وتجاوزة، وهو يعلم أنه ليس صاحب الحق بل هو المفترى والكاذب، أما المناضلة فأصلها: المراماة بالسهم، والمراد بها هنا: المحاجة بالكلام؛ يعني: كنت أخاصم مع الله سبحانه (٣)، فتحقق فعل الحسرة بعد اعتقاد المجرم في نفسه بأنه كاذب، وأن هذه المناضلة محاولة ذكية مما قد دأب عليها ولم تخب معه في الدنيا، ثم بعد قبول الله لما أراد من شهادة نفسه على نفسه، ثم تأتي الطامة بإظهار الله كذبه وفضحه على رؤوس الأشهاد.

وعند (سيرل) فقد تحقق في هذا القول الإيقاعي اتجاهاً المطابقة كلاهما معاً، بحيث أصبح المحتوى القضوي مطابقاً للعالم، ويمكن إدراج هذا الحديث تحت صنف الإيقاعات الخارقة للطبيعة (٤)، ومن ثم نتج عنه هذا التغيير الذي سيحدث لكثير ممن حملوا الإساءة والذم يوم القيامة ظانين بأنفسهم النجاة.

(١) ينظر ٣٣٨. معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الأردن، ط١، ١٤٢٠م - ٢٠٠٠م، (٧٦/٢).

(٢) ينظر النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي): فان دايك، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٠م، (ص ٢٤٠).

(٣) المفاتيح في شرح المصابيح: الحسين بن محمود المظهري، تحقيق نور الدين طالب، دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية - وزارة الأوقاف الكويتية، ط١، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م، (٤٩٠/٥).

(٤) ينظر نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب: (ص ١٣٥).

وقد برزت المحاورة في أداء وظيفتها الحجاجية، إذ إن المقدمة الحجاجية كانت في تسجيل الملائكة الكرام في الكتاب الشاهد على هذا العبد كل ما اقتترفه، ثم قوبلت هذه المقدمة الحجاجية بحجة النفي والجحود والتكذيب من هذا العبد، ثم أضاف العبد حجة عدم رضاه إلا أن يشهد على نفسه بنفسه، وهي لا شك أن حجاجه كان من حجاج المغالطة<sup>(١)</sup> فعرض العبد مقدمته الحجاجية بالسؤال التقريري: "يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟" ولا شك أن هذه المقدمة فاسدة من كل وجه، إذ إن فحواها أنه قد وقع عليه ظلم! وهو كذب، والله يقول: (الْيَوْمَ تُجْرَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ) [غافر: ١٧]، فقابله الله <sup>TM</sup> - وهو أعلم بما يضر في نفسه- بالإقرار "بلى"، ففرح العبد بما أنتج ليأتي بحجة لا علاقة لها بالمقدمة<sup>(٢)</sup>، "فَأِنِّي لَا أُجِيرُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي!" إلا أن هذه الحجة استخدمها الله بقدرته، لينتج منها حجة أقوى من المقدمة، بأن أضاف إلى حجة العمل السيء في الدنيا التي أقرت به جوارحه حين أنطقها، إظهار كذب هذا العبد وافترائه وجهله بالله أمام أهل المحشر، ومن ثم دخلت حجة العبد بعد تعديل الله لها في سلم حجاجي يؤدي إلى النتيجة المحذوفة لعلم المتلقي بها، وهي استحقاقه للعذاب.

#### ٤- فعل القرار والحكم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ' يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا قَالَ: 'وَعَزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفِينَ وَأَمْنَيْنِ إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِذَا أَمَّنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ

(١) المغالطة نوع من أنواع الحجاج، وهي "استدلال فاسد أو غير صحيح يبدو كأنه صحيح، لأنه مقنع سيكولوجيا، لا منطقيا، على الرغم مما به من غلط مقصود"، أو غير مقصود؛ فليس بالضرورة أن يكون الغلط مقصودا ليكون تغليطا. وهذا يعني أن المغالطة حجاج يهدف إلى الإقناع بوجهة نظر ما، أو فعل أمر أو تركه، ولكنه يعتمد أساليب متنوعة، شديدة التنوع من أجل الوصول إلى الهدف المنشود، لا غير. ويعرفها الشريف الجرجاني: "المغالطة: قياس فاسد، إما من جهة الصورة أو من جهة المادة (...). وقيل المغالطة مركبة من مقدمات شبيهة بالحق، ولا يكون حقا، ويسمى سفسطة، أو شبيهة بالمقدمات المشهورة، وتسمى مشاغبة. انظر التعريفات: الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م (ص ٢٢٢)، والحجاج والمغالطة دراسة تداولية في سورة الفرقان: (رسالة ماجستير) إعداد الطالبتين: جدي إيمان، روابحي أحلام، إشراف أ.د عبد الحميد عمروش، جامعة العربي التبسي - تبسة- الجزائر، السنة الجامعية (٢٠١٧-٢٠١٦م)، (ص ٧٥) وما بعدها.

(٢) ولعل هذا الذي أضحك النبي، إذ إنه لو كان في الدنيا، وكلم القاضي الذي أقام عليه الأدلة والشهود لما استطاع أن يأتي بهذه الحجة الواهية المضحكة، التي قامت على استدلال خاطئ، وأتبعها بحجة تجعله خصما وحكما!

يوم القيامة<sup>(١)</sup>.

اشتمل الحديث على فعل إيقاعي تقريري، ويتمثل في إعلان سنة كونية إلهية واضحة، متمثلة في هذا القرار: [ الإنسان الذي يخاف الله في الدنيا يجعله الله آمناً في الآخرة، الذي لا يخاف الله في الدنيا لا يكون آمناً في الآخرة]، وهي بمثابة قانون إلهي غير قابل للتبديل أو التعديل، ومعلوم أن سنن الله في خلقه لا تتبدل ولا تتغير، قال تعالى: (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) [فاطر: ٤٣]، إذن فهذا الفعل يؤثر على العالم الاعتباري القانوني، ويصل تأثيره إلى ضبط العلاقات لا بين الناس والله فقط، بل بين الناس بعضهم بعضاً، إذ إن أصل كل مشاكل الدنيا في عدم تقوى الله والخوف منه، وعدم الشعور بالمراقبة من الله<sup>(٢)</sup>، ولأن الدنيا دار ابتلاء، والإنسان فيها خليفة ترك الله للإنسان الحرية في اختيار خوفه وأمنه، فإن خاف ربه في الدنيا أمنه في الآخرة، والعكس بالعكس.

ولا شك أن هذا القانون يترتب على الإخلال به مخالفات شرعية لها علاقة بالله، ومخالفات أخرى لها علاقة بالناس والممتلكات، فلذلك جعل الله عقوبة مخالفة هذا القانون شديدة جداً ومغلظة، وهي الخوف في الآخرة، وعدم الأمن، والخسارة قال تعالى: (أَفَأَمِنُوا

(١) انظر الآداب: أبو بكر البيهقي، أبو عبد الله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م (ص ٣٣٣)، ومعجم الشيوخ: ابن عساكر، تحقيق الدكتورة وفاء تقي الدين، دار البشائر - دمشق، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، (١١٠١/٢)، وصحيح الترغيب والترهيب: (٣/٣١٨)، والإتحافات السنوية بالأحاديث القدسية: عبد الرؤوف المناوي، تحقيق محمد عفيف الزعبي، مؤسسة الرسالة - لبنان، (ص ٧٣)، وقد وحكم عليه شعيب الأرنؤوط بالتحسين انظر الحاشية في صحيح ابن حبان، وكذلك الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

(٢) نجد كثيراً في القرآن عبارة "اتقوا الله" مقرونة بالمعاملات بين العباد بعضهم بعضاً فعلى سبيل المثال لا الحصر، فمن باب القصاص العادل في المظالم، يقول: ( فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله) [سورة البقرة: ١٩٤]، وفي المعاملات المالية بين الناس، (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا) [سورة البقرة: ٢٧٨]، وفي معاونة الناس بعضهم لبعض، يقول: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) [سورة المائدة: ٢]، وفي إقامة العدل مع الناس جميعاً حتى لو كانوا أعداء لنا (اعدلوا هو أقرب للتقوى) [سورة المائدة: ٨]. وفي الكسب الحلال وعدم أخذ أموال الناس بالرشوة والسحت (وكلوا مما رزقناكم حلالاً طيباً واتقوا الله) [سورة المائدة: ٨٨]، وفي قول الصدق وعدم خداع الناس (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) [سورة التوبة: ١١٩]، حتى في المناقشات التي تجري بين الناس قال تعالى: (اتقوا الله وقلوا قولا سديداً) [سورة الأحزاب: ٧٠]، بل في أحاديث السرار بين الناس يقول: (يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتهم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومغصبت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى) واتقوا الله الذي إليه تحشرون [سورة المجادلة: ٩]، وفي الطلاق: (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم) [سورة الطلاق: ١].

مَكَرَ اللَّهُ ۖ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ [الأعراف: ٩٩].

وهذا القانون السابق هو محتوى قضوي صادق، والذي سنه هو الله ۖ فمصدره السلطة الإلهية القدرية، وما يحمله من توجيه هو وجوب الخوف من الله ۖ في الدنيا، وما يترتب عليه من مخالفة هو الوعيد بحتمية الخوف من الله ۖ في الآخرة، وهذه الشروط المحققة لإنجاز الفعل تجعله كافيا لتحقيق المطابقة بين القول والعالم، والغرض من هذا الفعل هو إحداث تغيير في العالم بسن هذا القانون الذي ألغى قانون الغابة بين الناس، بإعلان قانون إسلامي خاص به بالاستناد إلى مؤسسة غير لغوية، بهدف تنظيم العلاقات بينهم على أساس تقوى الله والخوف منه، كما يبدو في هذا الفعل أن اتجاه المطابق مزدوج أي من العالم إلى الكلمات ومن الكلمات إلى العالم كما وصفه سيرل<sup>(١)</sup>.

أما الحالة النفسية التي تعبر عنها الإيقاعيات، فهي إرادة المتكلم - وهو الله ۖ - في وقوع هذا الفعل وتحققه بنجاح<sup>(٢)</sup>، وبذلك يكون قد أوقع فعلاً بمجرد القول، عن طريق إيجاد واقع، إذ لا يراد بالإيقاعيات وصف واقع، ومن ثم تحقق الانتقال إلى واقع جديد يهيمن فيه هذا القانون الإلهي<sup>(٣)</sup>.

وينطوي تحت الفعل الإيقاعي أفعال كلامية غير مباشرة مستلزمة مقامياً<sup>(٤)</sup>، مثل

(١) التداولية عند العلماء العرب: (ص ٦٣).

(٢) نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب: (ص ٣٢).

(٣) وخير دليل على ذلك أفعال السلف وأقوالهم، قال أبو سليمان الداراني: كل قلب ليس فيه خوف الله فهو خراب، وقال مالك بن دينار: البكاء على الخطيئة يحط الذنوب كما يحط الريح الورق اليابس، وقال بعض السلف: لو نودي ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلاً واحداً لخشيت أن أكون أنا ذلك الرجل، وهذا عمر أفضل الناس بعد أبي بكر رضي الله عنه وقد بشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، ومع ذلك سأل حذيفة - صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم المتعلق بالمنافقين والفتن - فقال له: يا حذيفة هل أنا من المنافقين؟ فقال لا والله لست منهم يا أمير المؤمنين، فخاف عمر أن تكون نفسه قد لبست عليه وسترت عيوبه عنه، وعظم ذلك عليه حتى جوز أن يكون ذلك الوعد مشروطاً بشروط لم تحصل منه فلم يعتر به. الزواجر عن اقتراف الكبائر: ابن حجر الهيتمي، دار الفكر، ط ١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م. (٢٩/١).

(٤) وابن الجوزي - رحمه الله - قد استنبط الأفعال الكلامية غير المباشرة - الخاصة بالمتلقي المؤمن - من هذا الحديث، ثم عبر عنها بأسلوب بديع "المؤمن يتقلب في الدنيا على جمرات الحذر في نيران الخوف، يزهب العاقبة، ويحذر المعاقبة، فالنار متمكنة من سؤداء قلبه، إن هو هفا توقفت في باطنه نار الندم، وإن تذكر دنياً اضطرمت نار الحزن، وإن تفكر في منقلبته التهبّت نار الحذر، وإن صفا قلبه لمحبته خالفه صان القلب جمرة بنار الفرق، فإذا ورد القيامة عادت ناره نورا يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، فإذا جاز على الصراط لم تقاوم نار

الترغيب والوعد لمن يخافون الله ويتقونه، وفعل الوعيد والترهيب لمن يأمنون بالإقدام على المنهيات والانكباب على المعصيات<sup>(١)</sup>.

وقد تدعمت القوة الإنجازية بالمدخل إلى فعل الإيقاع بالقسم (وَعَزَّتِي)، للدلالة على تعظيم هذا القرار، ويبدو أن هذا القسم قد تضمن فعلاً تعبيرياً، وهو فعل الغضب، وهذا مثل ما حكاه لنا الأصمعي حينما قابل أعرابياً: "قال [الأعرابي] اتل عليّ كلام الرحمن، وأجلسني من وراء المقام فقرأت (وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا) [سورة الذاريات: ١] حتى وصلت إلى قوله تعالى: قال تعالى: (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) [الذاريات: ٢٢]، فقال الأعرابي: لقد وجدنا ما وعدنا الرحمن حقاً، وقال: وهل غير هذا؟ قلت: نعم، يقول الله تبارك وتعالى: قال تعالى: (فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطُقُونَ) [الذاريات: ٢٣]، قال فصاح الأعرابي وقال: يا سبحان الله! من الذي أغضب الجليل حتى حلف! ألم يصدقوه في قوله حتى أجنّوه إلى اليمين؟"<sup>(٢)</sup>.

كما تدعمت القوة الإنجازية في سوق فعل الإيقاع واضحاً خلواً من المجاز، يفهمه العامة، ولا يحتاج إلى شرح، وكى يجعل المتلقي خير مستقبل، أتى بالإجمال: "لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي حَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ" ثم التفصيل: "إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِذَا أَمَّنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، فكان التفصيل مزيد شرح للإجمال، فكأنما أوضح فعل الإيقاع مرتين.

التَّعْذِيبُ نِيرَانُ التَّهْذِيبِ، فَنُتَادِي بِلِسَانِ الْأَعْتِرَافِ بِالتَّفْصِيلِ: جُرُ فَعَدَ أَطْفَأَ نُورُكَ لَهَبِي. التبصرة: ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م. (١٧٣/٢).

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية: أبو سعيد الخادمي، مطبعة الحلبي، ١٣٤٨هـ، (١٠١/٣).

(٢) التوابين لابن قدامة: ابن قدامة المقدسي، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، (ص١٦٣)، وتفسير القرطبي: (٤٢/١٧)، وصفوة التفسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، (٢٤٢/٣).



## أهم نتائج البحث:

١. أبرزت الدراسة أن تناول نظرية الأفعال الكلامية في ضوء السياقات اللغوية في الأحاديث القدسية، قد أجلت تميز تلك الأحاديث بالتعرف على بنية الفعل الكلامي في الحديث القدسي ومكوناته وتحديد أنواعه ومستوياته من خلال التداولية الصغرى والتداولية الكبرى، وشروطه التأسيسية ودرجة الشدة، وإحداث المطابقة في الأفعال الكلامية، وما حدث فيها من تحويل دلالي أو بقائها على أصلها.
٢. أثبتت الدراسة أن اللغة وفق هذا المنهج التداولي، تتعدى كونها مجرد أداة للتبليغ، بل هي إلى هذا الجانب وسيلة عمل وتأثير، وهذا ما ظهر جليا من خلال الحديث القدسي الذي أحدث تغييرات في العقائد والسلوكيات والمواقف والآراء.
٣. أثبتت الدراسة أن المنهج التداولي من أبرز المناهج المساعدة على معرفة مقاصد المتكلم أثناء عملة التواصل بالمتلقي، وأن المنهج التداولي هو الذي يجعل من القصد والسياق قاعدة راسخة في مقارنة الخطابات المختلفة، وهو ما لم تضطلع به اللسانيات من قبل كثيرا؛ نظرا لتركيزها على البنية.
٤. يمكن اعتبار الخطاب الإلهي مقابلا للإطار المؤسساتي، وخاصة في صنف الإيقاعيات، فإن الل العزيز الحكيم صاحب الشرع هو صاحب السلطة المطلقة، التي تسوغ للفعل الإنجازي القدرة على إحداث التغيير المطلوب في الوضع القائم، إذ إن تأثير المؤسسة على المخاطبين يكون شديدا، فنتحقق أفعال الكلام لا محالة.
٥. جل الأفعال الإنجازية بينة، وألفاظها متداولة بين الناس معروفة وبعضها مستمد من القرآن الكريم، حتى يشعر المتلقي أنه يستقي من معين واحد، فيه حياته وإمداده، وفيه سعة لحرته تحت ظلال الاستسلام لله والخضوع له.
٦. تبدو سمة الإيجاز في الأفعال الإنجازية الواردة في الأحاديث القدسية سمة

- تتفق ومهمة التبليغ والتبيين التي تكفل بها الرسول صلى الله عليه وسلم، فجاءت التعاليم الجديدة تحمل طابع الإثارة والجدية.
٧. أثبتت الدراسة أن نظرية الأفعال الكلامية التي أسسها رواد الفلسفة التحليلية مثل فتنشتاين وأوستن، وسيرل وغيرهم، تعتبر امتدادا جيدا لنظرية الخبر والإنشاء في التراث العربي، ويمكن القول أنها مبحث يتناول فرعاً من فروع الخبر والإنشاء، وهو الصنف الذي ظاهره خبر ومضمونه إنشاء، أو ظاهره إنشاء وأريد به الخبر، وما بينهما من مجالات متداخلة، كما يبدو أن تقسيم العرب للكلام إلى خبر وإنشاء جاء من منطلق تداولي بحت، وهو قصد المتكلم والقوة الإنجازية التي تحملها العبارة، وقد اعتنى بهذا المبحث علماء النحو واللغة والبلاغة، لكن اهتمام المفسرين وشرح الحديث والأصوليين والفقهاء لا شك كان أكبر، ودفعهم إلى ذلك الانشغال بتفسير النصوص القرآنية والحديثية، فرأينا منهم تحليلاً دقيقاً للنص، وتحقيقاً لضوابط صيغ العقود والعهود والإيقاعات والتعاملات والأحكام المتعلقة بحقوق الآخرين.
٨. تتجاوب الأحاديث القدسية مع الأدوات اللسانية الحديثة فيما يتعلق ببعض جوانب نظرية الأفعال الكلامية، ومحاولة الوصول إلى الأغراض الإنجازية لمختلف أنواع الأفعال الكلامية التي تضمنها الحديث القدسي.

### قائمة المصادر والمراجع

- ١- الآداب: أبو بكر البيهقي، أبو عبد الله السعيد المنذوه، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ٢- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: محمود نحلة، الإسكندرية، دار المعرفة، ٢٠٠٢ م.
- ٣- الإتحافات السنوية بالأحاديث القدسية: عبد الرؤوف المناوي، تحقيق محمد عفيف الزعبي، مؤسسة الرسالة - لبنان.

- ٤- أساس البلاغة: الزمخشري، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ٥- الإفصاح عن معاني الصحاح: يحيى بن هُبَيْرَة، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، ١٤١٧هـ.
- ٦- الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة: د. علي الصراف، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.
- ٧- الأهوال: ابن أبي الدنيا، تحقيق: مجدي فتحي السيد، مكتبة آل ياسر - مصر، ١٤١٣هـ.
- ٨- بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمديّة: أبو سعيد الخادمي، مطبعة الحلبي، ١٣٤٨هـ.
- ٩- التاريخ الكبير للبخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن.
- ١٠- التبصرة: ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ١١- التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي): د. مسعود صحراوي، دار الطليعة ، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
- ١٢- التداولية: جورج يول، ترجمة د. قصي العتيبي، الدار العربية للعلوم ناشرون، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- ١٣- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: شمس الدين القرطبي، تحقيق د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.
- ١٤- التعريفات: الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

- ١٥- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: محمد الأمين الهرري، تحقيق د. هاشم محمد علي، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- ١٦- التتوير شرح الجامع الصغير: محمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعاني، أبو إبراهيم، تحقيق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م. (١١٦/٢).
- ١٧- التوابين لابن قدامة: ابن قدامة المقدسي، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- ١٨- التيسير بشرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، ط٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ١٩- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري، تحقيق د. عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- ٢٠- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد زهير الناصر، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢ هـ.
- ٢١- الحجاج والمغالطة دراسة تداولية في سورة الفرقان: (رسالة ماجستير) إعداد الطالبتين: جدي إيمان، روابحي أحلام، إشراف أ.د. عبد الحميد عمروش، جامعة العربي التبسي - تبسة - الجزائر، السنة الجامعية (٢٠١٦-٢٠١٧ م)
- ٢٢- الدعاء للطبراني: سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٣ هـ.
- ٢٣- الزواجر عن اقتراف الكبائر: ابن حجر الهيتمي، دار الفكر، ط١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

- ٢٤- السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير: الشيخ علي بن الشيخ أحمد العزيمي، المطبعة الخيرية، جمالية مصر، ط١، ١٣٠٤هـ.
- ٢٥- السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير: الشيخ علي بن الشيخ أحمد العزيمي، المطبعة الخيرية، جمالية مصر، ط١، ١٣٠٤هـ.
- ٢٦- شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة: د. محمد علي الهاشمي، دار البشائر الإسلامية، ط١٠، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ٢٧- شرح سنن أبي داود لابن رسلان: شهاب علي بن رسلان المقدسي، تحقيق خالد الرباط، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم - جمهورية مصر العربية، ط١، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.
- ٢٨- شرح مشكل الآثار: أبو جعفر الطحاوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١- ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.
- ٢٩- صحيح الترغيب والترهيب: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض.
- ٣٠- الصحيح المسند من الأحاديث القدسية: مصطفى العدوي، دار الصحابة للتراث، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
- ٣١- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٣٢- صفوة النفاير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ٣٣- الصمت وآداب اللسان: ابن أبي الدنيا، تحقيق أبو إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٣٤- فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

- ٣٥- كتاب التوبة: ابن أبي الدنيا، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، مصر.
- ٣٦- المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١١ - ١٩٩٠م.
- ٣٧- مسند أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- ٣٨- معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الأردن، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ٣٩- معجم الشيوخ: ابن عساكر، تحقيق الدكتورة وفاء تقي الدين، دار البشائر - دمشق، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ٤٠- معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- ٤١- المفاتيح في شرح المصابيح: الحسين بن محمود المظهري، تحقيق نور الدين طالب، دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية - وزارة الأوقاف الكويتية، ط١، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
- ٤٢- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق محيي الدين ديب ميستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- ٤٣- النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي): فان داك، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٠ م.
- ٤٤- نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب: طالب هاشم الطبطبائي، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤ م.